The Sing and the Semiotic productivity at Umberto ECO

Dr. Bouchra Abbas*

(Received 31 / 7 / 2022. Accepted 22 / 9 / 2022)

□ ABSTRACT □

In this research, we tried to identify the sign and the significances generated by it, which can change whenever the location of the sign changes, it was necessary first to explain the concept changes in every field in which we used the sign, and then we touched on the types of signs and how the significances change according to these types. So we talked about signs of persistence, metonymy and metaphor, and how these classifications led to the creation of the science of sign or semiology , and then we touched upon talking about the productivity of significance and the fields of this productivity, starting from the interpretation of the sign to the use of the sign in pragmatics.

Keywords :sign, significance, interpretation, semiology.

***Associate professor, Department of philosophy in the Faculty of Arts and Humane Science, Damascus University, Damascus-Syria(.email; dr.bochra.abbas@gmail.com).**

العلامة والخصوبة الدلالية عند أمبرتو إيكو

د. بشرى عباس *

(تاريخ الإيداع 31 / 7 / 2022. قبل للنشر في 22 / 9 / 2022)

□ ملخّص □

حاولنا في هذا البحث الوقوف على العلامة والدلالات المتولدة عنها، والتي يمكن أن تتغير كلما تغير موقع العلامة فكان لابد أولاً أن نشرح مفهوم العلامة، وكيف يتغير هذا المفهوم في كل مجال استخدمنا فيه العلامة، وبعد ذلك تطرقنا إلى أنواع العلامات وكيف تتغير الدلالات بحسب هذه الأنواع، فتحدثنا عن علامات الإصرار وعلامات الكناية والاستعارة، وكيف أدت هذه التصنيفات إلى خلق علم العلامة أو السيميولوجيا، ثم تطرقنا بعد ذلك إلى الحديث عن خصوبة الدلالة وحقول هذه الخصوبة انطلاقاً من التأويل للعلامة وصولاً إلى استخدام العلامة في التداولية.

الكلمات المفتاحية: العلامة، الدلالة، التأويل، السيمولوجيا.

* **أستاذ مساعد ، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، دمشق، سورية.**

مقدمة:

لعل البحث في كيفية تشكل العلامات والدلالات في اللغة يمثل فيما يمثل واحداً من الأبحاث الضرورية لفهم الكيفية التي يقوم عليها الخطاب أو الحوار سواء كان هذا الخطاب خطاباً نصياً أو خطاباً شفهياً، فكل خطاب هو بين مرسل ومتلقي، وكل خطاب يتضمن كلمات وإشارات لها دور كبير في خلق علاقة تواصلية بين المرسل والمتلقي، وعندما نقول ذلك فنحن نتحدث عن العلامات أكثر ما نتحدث عن الكلمات، إذ إن كل علامة هي كلمة. وكل كلمة هي علامة وقد تكون العلامة مباشرة، أي أنها تؤدي إلى مرادف مباشر وواضح ولكن في حالات كثيرة قد يكون المرادف مضمراً مختفياً بين ثنايا الكلمات والسياق الكلامي والخطاب مما يجعل البحث في العلامة والخصوبة الدلالية أمر هام على صعيد فهم دور العلامة في إنتاج الدلالة وتعدديتها، فلا يعود ممكناً البحث في اللغة إلا بوصفها علامات لهذا لابد لنا من طرح مفهوم العلامة، وكيف يتم استخدامها وإلى ماذا تشير ذلك أن فهم العلامة وطبيعتها يساعدنا في فهم كيفية إنتاج الدلالات النصية والخطابية ولا بد أيضاً تعقب أشكال العلامة والتصنيفات التي قامت عليها العلامة، إذ إن هذه التصنيفات تساعدنا أيضاً في فهم عمل العلامة في الحقول اللغوية، وكذلك في الأفعال الكلامية بحثاً عن خصوبة الدلالة في كل حقل من الحقول والخصوبة هنا تعني البحث في التأويل العلاماتي، بحيث يمنح التأويل قدرة واسعة للعلامة في التأثير الدلالي داخل النصوص الخاضعة للتأويل أو التحليل، فنجد أن العلامة في التأثير الدلالي داخل النصوص الخاضعة للتأويل أو التحليل، فنجد أن العلامة قد أخذت مواضع مختلفة منها الاستعارة والكناية وغير ذلك من الخصائص اللغوية التي يعتمدها علم اللغة من جهة، والسيمولوجيا من جهة أخرى

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من أنه يعالج خصوبة الدلالة ويتعقب هذه الخصوبة في المواقع التي تتخذها العلامة سواء كانت هذه المواقع نصية – كتابية أو شفهية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تقصي مفهوم العلامة، وكيفية تغير هذا المفهوم فيما لو بحثنا بالعلاقة بين العلامة والدلالة من خلال الكلمات والمترادفات، وأيا يهدف البحث إلى الكشف عن تصنيفات العلامة ودور هذه التصنيفات في منح العلامة دلالات جديدة، وأما الهدف الأكبر فهو البحث في الخصوبة الدلالية وفيما إذا كانت العلامة محدودة الإنتاج الدلالي أم أنها في إنتاجها تفعل فعلاً لا متناهياً.

منهجية البحث:

لقد استعنا في هذا البحث على المنهج الوصفي متخذين بعين الاعتبار أنناقد نلجأ هنا وهناك إلى مناهج أخرى كمنهج النقدي التاريخي وغيره

النتائج والمناقشة:

أولاً: مفهوم العلامة:

إن البحث في مفهوم العلامات يقود إلى البحث في تاريخها، أي متى بدأ مفهوم العلامة يأخذ شكلاً مذهبياً، بحيث يصبح علم، ومن الواضح أن كلمة علامة هي كلمة يونانية ولكن تشكل مذهب العلامة يعود إلى الرواقيين تحديداً، وهذا ما يقوله أمبرتو إيكو عندما يتحدث بهذا الخصوص:" وبطبيعة الحال فإن أسلم الطرق بالنسبة إلى أي اختصاص يتمثل في وضع الموضوع الذي اسندته إليه السنة العلمية على محك البحث، فالعبارة اليونانية سيميون، حتى وأن كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعبارة تيكميريون التي تترجم عادة ب (عرض) كانت منذ عهد اليونان تستعمل مصطلحاً تقنياً في مدرسة أبيقراط وفي التفكير البرمنيدي، إلا أن فكرة إنشاء مذهب خاص بالعلامات تتشكل مع الرواقيين واستعمل جالينس عبارة سيميوطيكي، ومنذ ذلك الحين، كلما تطرق باحث في تاريخ الفكر الغربي إلى فكرة علم سيميائي مهما كان الاسم الذي وضع له إلا وعرفه على أنه نظرية العلامات، ولكن بما أن مفهوم العلامة غالباً ما يتخذ معايير متناسقة، فمن الصالح أن نخضعه إلى نقد صارم (على الأقل بالمعنى الكانطي للعبارة) إلا أن هذا المفهوم يدخل في هذه الحالة ومنذ ظهوره في أزمة"[1]

ولكن العلامة تأخذ دورها الهام في الحياة اليومية، أي عندما يتم استخدام اللغة اليومي بين المتكلمين، بهذا المعنى فإن العلامة كما يرى إيكو إنما تستخدم من أجل نقل المعلومات أو بحديث إيكو، فإن العلامة" تستخدم العلامة من أجل نقل معلومات، ومن أجل قول شيء ما، أو الإشارة إلى شيء ما يعرفه شخص ما يريد أن يشاطره الآخر هذه المعرفة، إنها بذلك جزء من سيرورة تواصلية من نوع مصدر – باث– قناة– إرسالية– مرسل "[2].

كذلك ترتبط العلامة بالتأويل على الرغم من أن العلاماتية المعاصرة كما يرى بعض الباحثين قد تطورت بعيداً عن التأويل، ويذكر ذلك بعض الباحثين بالقول:" إن العلاماتية المعاصرة في الواقع، قد تطورت عموماً بشكل مستقل عن التأويل، فلقد أرادت جوهرياً لنفسها أن تكون نظرية وعلماً يصنف العلامات، وتحليلاً للشرع وقواعد وانساقا ومواضعات، إلى آخره، ولم تشأ أن تكون نظرية للتأويل، وليس سوى في وقت قريب قد انزاح النبر نحو قضايا التأويل، وبشكل عام أكثر نحو ذرائعية للعلامات، ومع ذلك، فعلى مقدار ما يكون هذا الانزياح في التعبير مشتركاً بين معظم الأنظمة المابعد بنيوية، وحيث كانت العلاماتية المعاصرة كنسية جداً، وحساسة تجاه المؤثرات النظرية الخارجية فإنه لمن الصعب حاليا تثمين النتائج على المدى الطويل، والعلاماتية التي سنتخذها موضوعاً هنا هي نظرية العلامات بشكل أساسي" [3].

والعلامة ترشد إلى استنتاجات تساعد مستخدمها على اكتشاف ما تريده العلامة أو ما يريده السياق التي ترد فيه العلامة وهو ما يذكره إيكو بالقول:" نجد قبل كل شيء مجموعة من الاستعمالات يتبين من خلالها أن العلامة هي إشارة واضحة تمكننا من التوصل إلى استنتاجات بشأن أمر خفي، بهذا المعنى نتحدث عن العلامة ونحن بصدد الحديث عن الأعراض الطبية، أو معالم الجريمة أو المؤشرات الجوية، كما نستعمل عبارات من قبيل" أبدى علامات نفاد الصبر"

---

[1] – إيكو، أمبرتو. السيمائية وفلسفة اللغة. ت": أحمد الصمعي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2005، ص43–44.

[2] – إيكو، أمبرتو. العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ت: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2010، ص47

[3] – عياشي، منذر. العلاماتية وعلم النص. المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2004، ص13–14.

أو " لم يبدِ حراكاً(علامة تدل على أنه حيّ)، أو ظهرت عليها علامات الحمل، أو أشار إلى أنه لا يريد أن يكف عن أمر ما"[4].

وبشكل عام يمكن القول إن العلاماتية قد أصبحت علماً مستقلاً بالفعل وأكثر من ذلك فإن العلاماتية تبدو وكأنها علم العلوم، فهي تعتبر عملاً مرجعياً لكل علم من العلوم، وقد وجدت كعلم لأنها يمكن أن تكون مرجعاً لكل العلوم، وهذا ما يصرح عنه بيرس العالم الامريكي، فهي أي العلاماتية تمثل بالنسبة إليه" إطار مرجعياً يتضمن أي دراسة أخرى، إنه لم يكن بإمكاني على الإطلاق أن أدرس أي شيء– الرياضيات، الأخلاق، الميتافيزيقا، الجاذبية، الديناميكا الحرارية، البصر، الكيمياء، التشريح المقارن، الفلك، علم النفس، الصوتيات، الاقتصاد، تاريخ العلوم، الهويست(ضرب من لعب الورق) الرجال والنساء، النبيذ، علم المقاييس والموازين– إلا بوصفه دراسة علاماتية، ومن هنا، فقد كانت كتابات بيرس علاماتية منوعة تنوع الموضوعات المذكورة، بيد أنه لم يخلف عملاً منوعة تنوع الموضوعات المذكورة، بيد أنه لم يخلف عملاً متماسكاً يوجز الخطوط الكبرى لنظريته، ولقد أثار هذا الأمر، خلال زمن طويل، جهلا بنظرياته، ثم تبع ذلك في وقت قريب عدد لا يحصى من التفاسير التي تحاول أن تجد الوحدة لنظرية من خلال إعادة صياغاته المستمرة"[5].

وقد أدى وجود العلامة بالفعل إلى إنتاج علم السيمياء بالكامل، فنحن نجد أن الإنسان استطاع أن يستخدم الرمز من أجل أن يعبر عن الأشياء التي يفكر بها ويحيا بها، وبالتالي إنتاج الدلالات الضرورية من أجل تنظيم مجمل حياته، وهذا يعني أن الرمز لعب دوراً في إنتاج العلامة ثم في إنتاج السيميائية أو السيميولوجيا، وبهذا الصدد يرى باحثون أن ظهور الرمز في حياة الإنسان كان أمراً مفصلياً" فمن خلاله وداخله، استطاع أن ينظم مجمل تجاربه الحياتية في انفصال عن العالم، وهذا ما جنبه التيه في اللحظة وحماه من الانغماس داخل عالم بلا أفق ولا ماض ولا مستقبل ضمن الأبعاد المباشرة ل(الهنا) والأن)فكما أن ابتكار الأداة أدى إلى الانفصال الإنسان عن الموضوع فإن الرمز قاده إلى الانفصال عن الواقع، وليست الإحالات الدلالية المتنوعة وطرق إنتاجها وسبل تداولها واستهلاكها سوى حصيلة حركة ترميزية دفعت بالإنسان إلى التخلص من عبء الأشياء والتجارب المباشرة اللصيقة بالزمان والفضاء، وقادته أيضا إلى بناء عوالم متحررة من قيود الواقع وتأليفاته المحدودة، لقد بنى عوالم مطواعة وقابلة للصياغات المتجددة، وقابلة أيضا للتكيف والتجدد والمسخ المطلق، وقد يكون ذلك هو الخطوة الأولى التب قادت الكائن البشري إلى الانفصال عن الكائنات الأخرى التي تركها وراء بلا تاريخ ترزح تحت نير طبيعة لا تقوم إلا بإعادة إنتاج نفسها"[6].

بهذا الشكل إذاً نجد أن العلامة كمفهوم قد ساهمت بشكل فعال في الدخول ضمن علم الدلالة الذي يعتبر كما رأينا علماً كاملاً ومرجعاً لجميع العلوم، فليس هناك من علم إلا ويعود إلى الدلالة وإلى العلامة.

ثانياً: الدلالات وأنواع العلامة:

يقودنا البحث في العلامة إلى البحث في أشكال وأنواع العلامات، وهذه الأنواع تتحدد من خلال الاستدلالات أو الدلالات التي نجدها في استعمال العلامة، فهناك من يتحدث عن علامات الاصرار كما هو الأمر عند أمبرتو إيكو فنجد أن العلامة تستخدم في كل المجالات طالما أنها تستخدم في التواصل بشكا أساسي، إذ يقول إيكو:" نتحدث عن العلامة ونحن بصدد الحديث عن الأعراض الطبية، أو معالم الجريمة أو المؤشرات الجوية، كما نستعمل عبارات من

[4] – **إيكو، أمبرتو. السيمائية وفلسفة اللغة. مصدر سابق، ص46**

[5] – **عياشي، منذر. العلاماتية وعلم النص. مرجع سابق، ص15**

[6] – **م. من الباحثين. السميائيات مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 35، د.ت، ص8**

قبيل أبدى علامات نفاذ الصبر، أو لم يبدِ حراكاً(علامة تدل على أنه حي) أو ظهرت عليها علامات الحمل أو أشار إلى أنه لا يريد أن يكف عن أمر ما. ثمة أيضا علامات منذرة، ومؤشرات حدوث فاجعة، وعلامات تنبئ بمجئ المسيح الدجال"[7].

وتتنوع تصنيفات العلامات بحسب هذا الاستخدام للعلامة وموقعها في الكلام، والنص خصوصاً وأن العلامة هي تعبير أو خلق معادل لكلمة أو لشيء في الذهن، فنجد أن هناك من الباحثين من يتحدث عن العلامة أو المصورة وهي" شيء ما ينوب لشخص ما عن شيء ما، من وجهة ما وبصفة ما، فهي توجه لشخص ما، بمعنى أنها تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة، أو ربما، علامة أكثر تطوراً، وهذه العلامة التي تخلقها أسميها مفسرة للعلامة الأولى، إن العلامة تنوب عن شيء ما وهذا الشيء هو موضوعتها، وهي لا تنوب عن تلك الموضوعة من كل الوجهات بل تنوب عنها بالرجوع إلى نوع من الفكرة التي سميتها سابقا ركيزة المصورة، وهنا تأخذ الفكرة شيئاً من المفهوم الأفلاطوني الشائع في الكلام اليومي، وأنا أعني بهذا أن الفكرة مستخدمة بنفس المعنى الوارد في تعبير: يلمس الرجل فكرة رجل أخر، أو عندما يقال: استعاد الرجل في ذهنه ما كان يفكر فيه في وقت سابق، أي أنه استرجع الفكرة نفسها، أو عندما يقال: استمر الرجل يفكر في شيء ما ولو لعشر ثانية، وذلك باعتبار فكره مستمراً في مطابقته لنفسه في تلك الفترة الزمنية بمعنى أن لفكره محتوى مماثلاً، حيث تتردد في فكره الفكرة نفسها ولا ينتقل في كل لحظة إلى فكرة جديدة"[8].

وقد أدى التنوع في تصنيف العلامات إلى خلق فروع متعددة من السيميولوجيا، بمعنى ما فإن كل تصنيف للعلامة الذي يكون قائماً على مضامين خاصة بالعلامة وبموقعها في عملية التواصل قد أنتج فرع من فروع السيميولوجيا، وهكذا نجد أن الباحثين الذين يتحدثون عن العلامة أو المصورة يرون أنها ترتبط" بثلاثة أشياء: الركيزة والموضوعة والمفسرة فإن لعلم السيميوطيقا ثلاثة فروع. ويسمى دنس سكوتس الفرع الأولى بالنحو النظري، ويمكننا أن نطلق عليه اسم النحو الخالص، ووظيفة هذا الفرع هو البحث فيما يجعل المصورة التي يستخدمها كل فكر علمي قادرة على تجسيد معنى ما. والفرع الثاني هو المنطق الصرف، وهو علم يبحث في حقائق شبه ضرورية عن مصورات الفكر العلمي التي تجعلها تصلح لموضوعة أي تصح لها. وبعبارة أخرى، فالمنطق الصرف هو العلم الشكلي لشروط صحة التصوير، وسأطلق على الفرع الثالث، مصطلح البلاغة الخالصة، احتذاء بأسلوب كانط الذي يحتفظ بالإيحاءات القديمة للكلمات حينما يصوغ مصطلحات لمفاهيم جديدة، ووظيفة هذا الفرع هي البحث في القوانين التي تجعل كل علامة في الفكر العلمي مولدة لعلامة أخرى وبصورة خاصة كيف تولد خاطرة ما خاطرة أخرى"[9].

وهنا نجد أن العلامة قد تقود إلى خلق علم جديد داخل علوم اللغة والبلاغة ومنها على سبيل المثال لا الحصر العلامة الاستعارية، إذ نجد أن البلاغة قد قامت على الاستعارة بأشكال متعددة وهي هنا استعارات علاماتية، فنجد أن العلامة تدخل حيز المجاز مما يؤدي إلى خلق الاستعارة، فنجد أن هناك شكلين للاستعارة أساسيين بناء على العلامة هما:

" أ. إن الاستعارة تقتصر على الاسم فقط، ولا تتعدى الجملة والخطاب، وقد تحكم هذا التصور في تاريخ البلاغة الغربية لقرون عديدة، وهيأ لهوس الانشغال بتصنيف المحسنات البلاغية وترتيبها، وهو ما أدى إلى موت البلاغة وانحطاطها. ب. حددت الاستعارة بمفاهيم تدل على الحركة في المكان ، أي أن الاستعارة تقوم على نقل كلمة من

---

[7] –إيكو، أمبرتو. السيمائية وفلسفة اللغة. مصدر سابق، ص46

[8] – قاسم، سيزا حامد ابو زيد. مدخل إلى السيموطيقيا، دار الياس العصرية، القاهرة، 1986، ص138.

[9] – المرجع نفسه، ص139

مكانها الأصلي إلى مكان آخر غريب عنها، وهكذا أصبح مفهوم الاستعارة يدل على جنس صور التغيير بصفة عامة، وبغض النظر عن نوع العلاقة التي ينبني عليها النقل"[10].

كذلك نجد أن العلامة بوصفها عملاً استعارياً قد أدت بالفعل إلى تبديل مفاهيم ووضع مفاهيم أخرى أو حتى تبديل كلمات مقام كلمات أدت إلى تغيير الدلالة نفسها، وهو هنا ما يسمى بالكناية في علم البلاغة، فاستناداً إلى العلامة يمكن أن" نسند خصائص بشرية إلى أشياء غير بشرية كالنظريات والأمراض والتضخم ... الخ وفي هذه الحالات لا نحيل على كائنات بشرية واقعية، فحين نقول : جردني التضخم من كل مدخراتي، فإننا لا نستعمل لفظ (تضخم) للإحالة على شخص معين. ويلزم تمييز حالات من هذا النوع من حالات أخرى: مثل ينتظر طبق الدجاج فاتورة الحساب، حيث تستعمل عبارة طبق الداج للإحالة على شخص واقعي، أي ذلك الشخص الذي طلب طبق الدجاج فعلاً، ولسنا، هنا ، بصدد أمثلة لاستعارات تشخيصية، إذ لا نفهم طبق الدجاج بأن نفرض عليه خصائص بشرية، بل على العكس من ذلك، فنحن نستعمل كياناً معيناً للإحالة على كيان آخر مرتبط به، ويسمي مثل هذه الصور كنايات"[11].

والبحث في العلامة وتصنيفها ربما أدى إلى الكثير من الاغناء لمفهوم العلامة، إذ بالإضافة إلى الاستعارة وأشكالها والكناية في علم اللغة يمكننا أن نجد أن العلامة أوسع بكثير من الاستعارة والكناية، فعندما يجري الحديث عن العلامة في النص نجد أن هناك من الباحثين من يرى أن العلامة هي كل شيء ويشير إلى ذلك بعض الباحثين بالقول:" ماهي العلامة في النص؟ إن الجواب عن هذا السؤال بسيط جداً في الحقيقة. فكل شيء قابل لأن ينظر إليه بوصفه علامة، وإن تنضيد الجمل في أبيات(اطراد مقطعي، تكرار صوتي، أو بكل بساطة ترتيب خطي معين) إنما هو علامة دالة هذه قصيدة، وكذلك، فإن حضور الجمل الطويلة ليعد علامة، وإن وفرة الصفات، وتغير التعبير في القصة، وطول النص أو قصره، كل هذا يمكن أن ينظر إليه بوصفه علامة، وإن كل شيء يمكن أن يلاحظ وأن يحدد فهو قابل لكي يصبح علامة، سواء كان لا حد لصغره، ذرياً أم كان معقداً، ويتألف من عدد كبير من العلامات الأخرى الأكثر صغراً، وربما تكون العلامات الأكثر أهمية هي العلامات غير الإرادية، أي تلك التي لم تكن مقدرة لكي ينظر إليها بما هي كذلك، فلنفكر في السمات النصية التي لا تصبح مدركة إلا بعد تحليلات بنيوية جد معمقة"[12].

وعلى ما يبدو أن تصنيف العلامة إلى أنواع يمكن أن يكون تصنيفاً غير ملائم، إذ يبدو أن العلامة خارج إطار التصنيف أي لا يمكن حصر العلامة ضمن تصنيفات معينة، فنحن نجد أن العلامة حسب بيرس قد أدت إلى إنتاج علم العلوم وقد تكون العلامة هي المحرض على إنتاج علوم جديدة طالما أن كل علم يحتاج إلى تسق علاماتي ويضيف بالتالي خصوبة ما للعلامة دلالياً مما يؤدي إلى القول بضرورة أن تكون التصنيفات مفتوحة للعلامة.

[10] – لحويدق، عبد العزيز. نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015، ص13

[11] – لايكوف، جورج وجونس، مارك. *الاستعارات التي نحيا بها*. ط2، ت: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، 2009، ص53.

[12] – عياشي، منذر. العلاماتية وعلم النص. مرجع سابق، ص45.

ثالثاً: الخصوبة الدلالية:

ترتبط الدلالة بالتأويل مما يسمح لنا بالقول إن تأويل العلامة يبدو تأويلاً واسع الطيف، إذ إن العلامة التي تخضع للتأويل وهذا طبع العلامة نفسه، أي أنها تأويلية لأن العلامة قد لا تشير إلى المراد من المباشر بل قد تخلق مرادفاً جديداً في عملية التأويل، ولهذا نجد أن كل لغة لها دلالتها المختلفة لنفس الدلالة ويذكر إيكو ذلك بقوله:" إن مؤول الممثل أي شكل تعبر عنه علامة، وليس بالضرورة لفظاً لغوياً، ولكنه من دون شك أيضا لفظ لغوي، جملة، أو نص بأكمله، هو بالنسبة إلى بيرس تمثيل آخر يحيل على الموضوع، نفسه. بعبارات أخرى، لتحديد مدلول علامة من الضروري أن نعوضه بعلامة أخرى أو بمجموعة من العلامات، التي تكون بدورها قابلة للتأويل بواسطة علامة أخرى أو بمجموعة من العلامات، وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية له، بالنسبة إلى بيرس العلامة هي، أي شيء يحدد شيئاً آخر (مؤوله) يحيل على موضوع هو نفسه يحيل عليه.. وبالطريقة نفسها، يصبح المؤول بدوره علامة وهكذا إلى ما لا نهاية له "[13].

ويدخل أيضاً في سياق الخصوبة الدلالية ما يخضع له النص نفسه من تحليل وتأويل على صعيد البنية النصية، فتحليل النص بنيوياً قد يؤدي إلى وجود علامات غير تلك التي يقولها النص وبالتالي هذه العلامات تأخذ بإنتاج دلالات جديدة هي في واقع الأمر دليل على ما تفعله العلامة عندما تتحرك داخل النص ثم كيف تتحرك داخل فهم النص، ويشير إلى ذلك بعض الباحثين بالقول:" ثمة ظاهرة بنيوية، سواء تمكنت في النص على مستوى البنية الصغرى(في جملة، في سلسلة متعاقبة) أم على مستوى البنية الكبرى(في الجزء الأكثر كبراً من النص، أو في النص مأخوذاً في مجموعة) فإنها تستطيع أن تعد على الدوام علامة، وإن الأمر ليعود إلى تحليل النص لكي يقرر أي علامة أو علامات يريد أن يختار، فإذا قرر بالإضافة إلى هذا، أن ينظر إلى العلامة المختارة بوصفها أيقونة، فإن المتصور الأيقوني يستطيع أن يكون لديه أداة كشفية، ولقد يعني هذا أنه يسمح له بمعرفة معنى، من غيره، قد يبقى محجوباً"[14].

والحال يمكن أيضاً أن نجده عندما نبحث في العلامة على مستوى القواميس والمعاجم، فنحن هنا أيضاً نجد أن العلامة لها دلالتها المختلفة والمتنوعة خصوصاً فيما يخص المترادفات ويؤكد على ذلك إيكو بالقول:" على المستوى المعجمي قد يكون المؤول مرادفا، أو علامة في نظام سيمائي آخر، أو اصبعاً موجها نحو شيء مفرد يقع تعيينه باعتباره ممثلا لصنف الأشياء التي ينتمي إليها، أو تعريفاً أو وصفاً. بل يذهب بيرس إلى القول أن المؤول يمكن أن يكون خطاباً معقداً لا يترجم فحسب بل يفصل استدلاليا جميع الإمكانيات المنطقية المتضمنة في العلامة، أو قياساً ناتجاً عن مقدمة صحيحة، لدرجة أننا، في ضوء نظرية للمؤولات، نستطيع فهم مبدأ بيرس البراغماتي، أن ندرك ما هي المؤثرات العملية التي نتصور أن ينتجها موضوع متصورنا، فيكون تصور جميع هذه المؤثرات هي التصور الكامل للموضوع، فإذا ما فصلنا إلى أقصى حد جميع المعارف التي نملكها بخصوص الغابات، يمكننا أن نفهم دائما لصفة أفضل ما هو الفارق بين اجتياز غابة صغيرة واجتياز دغل"[15].

ويقود البحث في المدلول المعجمي أو العلامة على مستوى المعجم والقاموس إلى البحث في العلاقة بين المدلول المعجمي والمدلول النصي وذلك من أجل اكتشاف مدى خصوبة الدلالة التي تنتجها العلامة عندما تنتقل من الساكن

---

[13] – **إيكو، أمبرتو. أن نقول الشيء نفسه تقريباً. ت: أحمد الصمغي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012.ص108.**

[14] – **عياشي، منذر. العلاماتية وعلم النص. مرجع سابق، ص50**

[15] – **إيكو، أمبرتو. أن نقول الشيء نفسه تقريباً. مصدر سابق، ص110.**

إلى المتحرك، أي من المعجم إلى النص، فالنص هو قول يقوله أحد ما وهنا العلامة تغدو متحركة فتتغير الدلالة بحسب القول والقصد والمعنى وأيضاً هنا يشير أمبرتو إيكو إلى هذه المسألة فيقول:" تحقق التواصل من خلال القول، ويجري هذا في العادة من خلال النصوص، ونعني بعبارة نص سلسلة من الأقوال تربط بينها علاقات تماسك، أو نعني به مجموعات من الأقوال تصدر بصفة متزامنة بالتعويل على أكثر من نظام سيميائي، وبهذا المعنى يمثل القول الأحادي التعبير الذي ينطق به الطفل نصاص، ومن خصوصيات النص أنه لا يعبر فحسب عن مدلولات مباشرة(وظيفة المدلول في الألفاظ المفردة)بل يعبر أيضا عن مدلولات غير مباشرة ، فعندما يقول الطفل \ قطا\ فإنه يعبر كذلك بطريقة غير مباشرة عن سروره لمشاهدة هذا الحدث العجيب"[16].

ولكن من الجدير بالذكر القول بأن المدلول المعجمي والمدلول النصي لا يمكن الوصول إلى طبيعتهما ببساطة، فهناك معايير نظرية من أجل تحديد المدلولات ولهذا هناك صعوبة في تناول العلاقة بين خصوبة الدلالة المعجمية وخصوبة الدلالة النصية، وهذه الصعوبة يشرحها إيكو فيقول:" إلا أن المسألة ليست بهذه السهولة، فمدلول عبارة\ الملكة أنثى\ ليس مرتبطا بالمدلولين المعجميين\ ملكة\ و\انثى\ إلا من الناحية النظرية. وفي الواقع، ليس على المرول أن يشارك فحسب في اختيار اللغة المرجع(ل)، ولكن يتحتم عليه أن يختار على نحو ما من بين الإمكانيات التي توفرها له اللغة(ل)، بما أن \ ملكة \ يمكن أن تعني المتربعة على عرش الملك جنس الإناث، أو تعني في اللغة الإيطالية اليعسوب) أو ورقة من أوراق اللعب، وعند القيام بهذه العمليات يقابل المتلقي في العادة العبارة المذكورة بسياق نص محدد، بما أنه قلما نعبر بأقوال منعزلة، أو بسياقات غير لفظية تصاحب القول"[17].

أيضا من خصائص العلامة وتنوع خصوبة المعنى والدلالة في مجال البحث السيمائي أننا نعثر أيضاً على مدلولات وضعية ومدلولات أخرى تسمى بالمدلول المقامي، أي المدلول الذي تحيل إليه الكلمات في مقامها النصي، وهذه الخصوبة هنا نجد أنها تعتمد على آليات الفهم القائمة بين مستخدمي العلامة وتحديد المستوى المفهومي، وكذلك الثقافي للعلامة في ذهن كل من المتحاورين"[18].

لنصل في النهاية إلى العلامة في التداولية بحيث إن الدلالة هنا هي جزء من فهم الخطاب بل هي ركيزة أساسية من الخطاب" ذلك أن التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، ودراسة الإشارات النوعية التي تثبت وظيفتها الخاطبة في اللغة."[19]. وفي هذا الصدد يقول الفيلسوف الألماني فجنشتين" إن معنى الكلمة يمكن في استعمالها باللغة، وبالتالي لا تسأل عن المعنى ولكن أسال عن الاستعمال"[20]،

وعندما تصل العلامة إلى الاستعمال التداولي فإن خصوبة الدلالة هنا ليس لها حدود ذلك أن التداولية هي في الأساس بحث في الخطاب وآليات تغير الدلالة عندما تصبح العلامة في التداول اللغوي والخطابي.

---

[16] – إيكو، أمبرتو. السيمائية وفلسفة اللغة. مصدر سابق، ص127–128

[17] – إيكو، أمبرتو. السيمائية وفلسفة اللغة. مصدر سابق، ص128.

[18] – المصدر نفسه، ص129 بتصرف.

[19] – ختام، جواد. التداولية أصولها واتجاهاتها. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016.ص16–17

[20]- janet,dean fodor. Semantics, theories of meaning in generative grammar crowell, new york,1977,p.19.

الاستنتاجات والتوصيات:

لقد توصلنا في هذا البحث إلى جملة من النتائج التي أفضت إليها طبيعة موضوعه وكذلك طبيعة العلامة نفسها من حيث إن العلامة تساعد وبشكل كبير على إتمام النصوص أمر على إخراج النصوص من الانغلاق النصي والذهاب نحو الحديث عن نص مفتوح، وبالفعل فإن خصوبة الدلالة تؤدي إلى الحديث عن العلامة المفتوحة، أي العلامة التي لا تتوقف عن إنتاج الدلالات مما يعني أن العلامة تتمتع بمرونة فائقة وهذا ما أشرنا إليه في البحث عندما تحدثنا عن العلامة بوصفها علم العلوم، أي السيمولوجيا التي هي علم العلامة.

ويستشرف هذا البحث آفاقاً بحثية أخرى إذ إنه يفتح نافذة أمام الباحث من أجل الغوص أكثر في القيم العلاماتية التي بدورها تعود إلى قيم دلالية تتنوع حتى في حضور العلامة كوحدة ثابتة في النصوص ولكنها متحولة في التأويل والاستخدام والتكرار وغير ذلك من نشاطات اللغة التي تحدث يوميا بين مرسل ومتلقي في ثقافة ما ولغة ما بحيث نجد أن خصوبة الدلالة تتجاوز العلامة نفسها ربما امكننا البحث مستقبلاً في جدل العلامة والدلالة، أي كيف تؤثر العلامة على إنتاج الدلالة ثم كيف تنعكس الدلالة على تكوين العلامة من جديد.

المصادر والمراجع:

1. إيكو، أمبرتو. السيمائية وفلسفة اللغة. ت: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005.
2. إيكو، أمبرتو. العلامة تحليل المفهوم وتاريخه. ت: سعيد بنكراد، الدار البيضاء، ط2، 2010.
3. إيكو، أمبرتو. أن نقول الشيء نفسه تقريباً. ت: أحمد الصمغي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012.
4. ختام، جواد. التداولية أصولها واتجاهاتها. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016.
5. عياشي، منذر. العلاماتية وعلم النص. المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2004.
6. قاسم، سيزا حامد ابو زيد. مدخل إلى السيموطيقيا، دار الياس العصرية، القاهرة، 1986.
7. لايكوف، جورج وجونس، مارك. *الاستعارات التي نحيا بها*. ط2، ت: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، 2009.
8. لحويدق، عبد العزيز. نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015.
9. م. من الباحثين. السميائيات مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد 35، د.ت.
10. janet,dean fodor. Semantics, theories of meaning in generative grammar crowell, new york,1977

Sources and references

- Eco, Umberto. Semiotics and the philosophy of language. Transl; Ahmad ALsomai, the Arabian organization for Translatiin, Beirut, edit1,2005.
- Eco, Umberto. The sign, history and analysis of the concept. Transl; saed bnkrad, aldar albaidaa, edit2, 2010.
- Eco, Umberto. To say almost the same thing. Trans; ahmad alsomai, the Arabian organization for translation, Beirut, edit1, 2012.

- Ketam, jawad. Pragmatics its origins and trends. Dar konoz almaarefa for publishing and distribution, amman, edit1,2016.
- Ayashi, Monzer. Semantics and textology. The Arabian educational center, Morocco, edit1, 2004.
- Lehwedek, Abdel Aziz. Metaphor theories in Arabic Rhetoric from Aristotle to lakoff and mark Johnson, dar konoz almaarefa for publishing and distribution, amman, edit1, 2015
- Lakoff, George and Johnson mark. Metaphors we live by, edit2, trans; abdel majeed gehfa, dar tobkal for publishing,2009.
- Group of researchers. Semantics alam alfekr magazine, Kuwait, vol3.
- janet,dean fodor. Semantics, theories of meaning in generative grammar crowell, new york,1977